

Conceptual Metaphor Theory in Cognitive Linguistics

نظرية الاستعارة التصويرية في اللسانيات المعرفية

Omar Abu Rumman^{1*}.

¹The world Islamic Sciences and Education University, Amman, Jordan.

ARTICLE INFO

Article history:

Received 07 May 2023

Accepted 20 Jun 2023

Published 01 Apr 2025

*Corresponding author:

The world Islamic Sciences and Education University, Amman, Jordan.

Email: omaraborumman7@gmail.com.

Abstract

The field of linguistics has witnessed significant development, leading to the emergence of various modern disciplines and methodologies. Among these is Cognitive Linguistics, which explores the connection between cognition or knowledge and language. This field is relatively new and focuses on studying the relationship between language, cognition, and human knowledge in general. This study examines one of the central topics in cognitive linguistics: conceptual metaphor, employing a descriptive-analytical approach. It seeks to answer the following questions: How does conceptual metaphor contribute to meaning construction? Can conceptual metaphors provide a new understanding of things that differs from traditional comprehension? Is metaphor present in our daily lives, as suggested by Lakoff and Johnson, in the same way it appears in poetry? The study concludes that metaphor is not merely a rhetorical ornament or linguistic embellishment; rather, it plays a fundamental role in thought processes, comprehension, information processing, and communication, in line with advancements in cognitive linguistics. Additionally, the cognitive theory views metaphor as a primary means of conceptualizing reality—an essential cognitive process that integrates various conceptual domains. Consequently, metaphor is not confined to literary or political discourse but serves as an inherent cognitive mechanism that contributes to our perception, thinking, and imagination.

Keywords: Metaphor, Conceptualization, Linguistics, Cognition.

المخلص

شهد مجال اللسانيات، أو علم اللغة، تطورًا ملحوظًا أدى إلى ظهور العديد من العلوم والمناهج الحديثة، ومن بينها علم اللغة المعرفي (*Cognitive Linguistics*)، الذي يربط بين الإدراك أو المعرفة واللغة. يُعد هذا العلم حديثًا نسبيًا، ويقوم على دراسة العلاقة بين اللغة والإدراك والمعرفة الإنسانية بشكل عام.

يركّز هذا البحث على أحد الموضوعات المركزية في علم اللغة المعرفي، وهو الاستعارة التصويرية، وذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي. ويهدف إلى الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف تسهم الاستعارة التصويرية في بناء المعنى؟ هل يمكن للاستعارة التصويرية أن تقدم فهمًا جديدًا للأشياء يختلف عن الفهم التقليدي؟ وهل تُستخدم الاستعارة في حياتنا اليومية، كما أشار لايفكوف وجونسون، بنفس الطريقة التي تُستخدم بها في الشعر؟

وقد خلص البحث إلى أن الاستعارة ليست مجرد عنصر بلاغي أو ترف لغوي، بل تؤدي دوراً جوهرياً في عمليات التفكير، والفهم، والمعالجة، ونقل المعلومات وفقاً لتطور علم اللغة المعرفي. كما تبين أن النظرية المعرفية تستكشف الاستعارة بوصفها وسيلة أساسية لتصوّر الواقع، حيث تمثل عملية عقلية تجمع بين مختلف المجالات المفاهيمية. وعليه، فإن الاستعارة ليست حكراً على الخطابات الأدبية أو السياسية، بل تُعد آلية معرفية أصيلة تسهم في الإدراك، والتفكير، والخيال الإنساني.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة، التصور، علم اللغة، المعرفية.

١. المقدمة

يغطي المجال الإشكالي في المرحلة الحالية لأبحاث الاستعارة نطاقاً واسعاً من الأمور المتعلقة بدراسة طبيعة اللغة، وعملها، وتصنيف الوحدات المجازية - وهو مجال بحث لا يزال غير مستكشف نسبياً. شهدت العقود القليلة الماضية انفجاراً واسعاً في دراسة الاستعارة في العلوم المعرفية؛ ما دفع ببعض علماء اللغة والفلسفة والنفس إلى طرح نظريات متنوعة حول الفكر المجازي واللغة. يعتقد العديد من هذه النظريات أن الاستعارة منتشرة في الحياة، ليس فقط في اللغة العادية، ولكن أيضاً في أفكارنا وخبراتنا. من بين هذه النظريات، اقترح فوكونير Fauconnier وتيرنر Turner أهمها وتأثيرها في تفسير الاستعارة وهي نظرية المزج المفاهيمي التصوري.

١،١ الدراسات السابقة

ثمة دراسات سابقة - في حدود اطلاعنا - ذات علاقة بموضوع الدراسة الحالية من مثل دراسة داوودي، شيماء: الاستعارة التصورية عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه أسرار البلاغة، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، ٢٠٢١. ودراسة سكون، سميرة، تجليات الاستعارة التصويرية في النصوص المسرحية: مسرحية التاعس والتاعس، ومسرحية البحث عن الشمس، عز الدين جلاوي "أنموذجاً"، مصر، ٢٠١٩. ودراسة العامري، عبد العالي، التصوّر الاستعاري لبُنية المسار في اللغة العربية، السعودية، ٢٠١٦.

وقد اتفقت هذه الدراسة مع دراسة (داوودي، ٢٠٢١) من حيث التعرّف إلى الاستخدامات الحقيقية للاستعارة، وعدم اقتصرها على فئة الأدباء والشعراء في كونها ملكاً للذهن البشري مهما كانت طبقاته العلمية من جهة، ومن حيث التركيز على دور الاستعارة المتمثل في نقلنا من عالم المعنويات لعالم الماديات، لأنه لم يعد دور الاستعارة مقيداً في أقطاب معينة كالمشبه والمشبه به على اعتبار حكمها القائم على مجالين دلاليين تصوريين، تمثلاً بالمجال المصدر والمجال الهدف من جهة ثانية. كما اتفقت دراستنا مع دراسة (سكون، ٢٠١٩) من حيث إن جل أفكارنا وسلوكياتنا وأقوالنا استعارية فهي قبل أن تكون تحقيقاً لغوياً سلوكياً؛ فهي ظاهرة ذهنية في المقام الأول. وأن الاستعارة هي عملية فهم لميدان أو مجال تصوري عن طريق ميدان أو مجال تصوري آخر مثل فهم الحياة عن طريق الرحلة والجدال من خلال طريق الحرب. وكذلك اتفقت دراستنا مع دراسة (العامري، ٢٠١٦) على أن طريقة الاستعارات التصويرية في التفكير، وأن التعابير الاستعارية طريقة في الكلام من جهة أولى، وأن الميزة الأساس للمسار الاستعاري ماثلة في ارتكازه إلى فهم مجال معين من خلال مجال آخر اعتماداً على توافقات أنطولوجية من جهة ثانية.

وقد اختلفت دراستنا عن دراسة (داوودي، ٢٠٢١) من حيث اقتصرها على فكر عبد القاهر الجرجاني والجانب البلاغي للدراسة، بينما اهتمت دراستنا بآخر ما توصل إليه بعض علماء الغرب حول دراسة الاستعارة من الناحية المعرفية؛ لهذا جاءت دراستنا أعم وأشمل في كونها لم تغلق على الجانب البلاغي فقط. كما اختلفت دراستنا أيضاً مع دراسة (سكون، ٢٠١٩) من حيث كشفها عن تجليات الاستعارة التصويرية في النصوص المسرحية: (التاعس والتاعس) و(البحث عن الشمس) فقط، بينما قامت دراستنا على التحليل اللغوي المعرفي للاستعارة وليس على التطبيق فقط. وقد اختلفت أيضاً دراستنا مع دراسة (العامري، ٢٠١٦)، لأنها قامت على تحليل الاستعارة الفضائية، بيد أن دراستنا ركزت على الجانب المعرفي للاستعارة تحديداً، فضلاً عن تركيزها على إشكالية الربط بين الصورتين الذهنية والواقعية للاستعارة.

٢. عرض الدراسة

وحرّى بنا قبل الخوض في نظرية الاستعارة؛ أن نعرض إلى تدرجها التاريخي من حيث الوقوف على أهم المفاهيم التي تستند إليها الدراسة وهي:

اللسانيات المعرفية

لقد عرفت السنوات الأخيرة – ومع تطور البحث في العلوم المعرفية Cognitive science - توجيه البحث في مسائل اللغة إلى القضايا المتعلقة بالذهن، في مقابل البحوث ذات التوجه البنيوي وكذا التوليدي من تصور أنّ اللغة تمثل مدخلا دقيقا لفهم القدرة الإدراكية العامة عند البشر، وهو التوجه الذي أصبح يعرف في أدبيات الدرس اللساني عمومًا والتداولي خصوصًا باللسانيات المعرفية التي تتميز "بالتركيز على الوظيفة السيميائية للغة، فهي تسلم تسليمًا تامًا بتجذر اللغة في التفاعل الاجتماعي، ولكنها تلحّ على أنّ جميع الوظائف فيها حتى وظيفتها التفاعلية خاضعة خضوعًا حاسمًا للفهم، وتتميّز مقارنة بالمقاربات الشكلية بمقاومة النزعة إلى فرض الحدود بين اللغة وسائر الظواهر النفسية، فبدل أن تكون اللغة وحدة متميزة مكثفة بذاتها (منظومة أو ملكة ذهنية منعزلة)، تُعد وجهاً من صميم العرفنة لا يتجزأ عنها (لانفاكر، ٢٠١٨).

لقد اتكأ هذا التوجه إلى مجموعة من المنطلقات التأسيسية استناداً إلى تلك المعالم التي بُنيت عليها مختلف النقاشات ذات الصلة؛ إذ لا ترى الروية المعرفية في اللغة قوالب محددة يميّزها الجمود-وهو توجه اللسانيات الشكلية - بقدر ما ترى فيها نشاطاً ذهنياً متساوفاً مع حركية العقل البشري في تعاطيه مع مختلف نظم المعرفة ومن هذه المنطلقات نجد:

- أنّ اللغة ليست جزءاً منفصلاً عن التجربة الإنسانية، بل هي جزء أصيل منها.
- أنّ اللغة متجسدة، بمعنى أنّ جزءاً كبيراً منها يعتمد على حقيقة أنّنا كلنا في الأصل نشارك في الشكل البشري ذاته والحالة الإنسانية ذاتها والتجربة الإنسانية ذاتها.
- أنّ اللغة مبنية على أساس الملكات الإدراكية الحسية: السمع والبصر والتذوق واللمس والشم والإحساس بالحيّز المادي والحركة المادية (أو الجسدية).
- تشمل اللغة العرفنة cognition والحسية perception والذاكرة memory والاستباق anticipation والنمذجة التخيلية modelling speculative والعلاقات الاجتماعية، وبالتالي ينبغي أن يشمل أي وصف منهجي للغة على هذه الجوانب كافة.
- يجب أن يتضمن وصف اللغة تفسيراً للمرونة الإبداعية والابتكار الخيالي الكامنين في قلب الممارسة اللغوية (ستوكويل، ٢٠١٧).

علم اللغة المعرفي هو دراسة كيفية ارتباط اللغة بالعقل البشري. تعريف هذا النوع من البحث هو ما يسمى بالالتزام المعرفي cognitive commitment الذي صاغه لاكوف Lakoff بمعنى الالتزام بتنسيق البحث اللغوي مع ما هو معروف عن العقل والدماغ من العلوم المجاورة أيضاً لاستكشاف الإدراك، ولا سيما علم النفس وعلم الأعصاب (Lakoff, 1990).

من بين أهم الدارسين في اللسانيات المعرفية لاكوف وجونسون اللذين اشتغلا على أهمية الاستعارة في التصور الفكري البشري؛ حيث استطاعا: "تحويل الدرس اللساني للاستعارة من وضعية هامشية ثانوية إلى وضعية مركزية في النظرية الدلالية، وتحويل الاستعارة من مجرد عنصر عرضي في فهم الخطاب وتحليله إلى عنصر مركزي، وأهم ما يميز التصور المعرفي للاستعارة عما سبقه من تصورات من أرسطو إلى التداوليين، هو طبيعة الاستعارة، فهي ما قبل العرفانية ظاهرة لغوية، وهي عند العرفانيين ظاهرة تصورية وما اللغة إلا أحد وجوه تجلياتها (البوعمراني، ٢٠١٥).

لقد تطوّرت اللغويات المعرفية Cognitive linguistics في الآونة الأخيرة حتى أصبحت واحدة من أكثر الأطر ديناميكية وجاذبية في علم اللغة النظري والوصف. وتقدم هذه الدراسة نظرة عامة موجزة عن اللغويات المعرفية على اعتبار ما يُنظر إلى علم اللغة المعرفي على أنه فرع متعدد التخصصات من علم اللغة مع مزيج من المعرفة والبحث الذي يعتمد على

علم النفس المعرفي وعلم النفس العصبي وعلم اللغة. إنها مدرسة حديثة للفكر اللغوي ظهرت في الأصل في أوائل السبعينيات؛ وهي عبارة عن مجموعة من الأساليب المتداخلة لدراسة اللغة كظاهرة عقلية. اللغويات المعرفية هي طريقة للتعامل مع دراسة اللغة الطبيعية التي بدأت في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات في أعمال جورج لاكوف، ورون لانجاكر ولين تالمي Talmy. إنه يركز على اللغة كأداة لترتيب المعلومات ومعالجتها وتمثيلها (Geeraerts, 2007).

اللغة هي قدرة معرفية بشرية خاصة، لكن العمليات الفكرية المسؤولة عن تخزين واستعادة المعرفة اللغوية وغير اللغوية هي في الأساس متشابهة، تضم اللسانيات المعرفية طرقاً افتراضية متنوعة قابلة للتطبيق على نطاق واسع للتعامل مع الأهمية اللغوية والبنية التي تشترك في فرضية نموذجية: التفكير في أن اللغة جزء مركزي من الإدراك وتعكس العلاقة بين العناصر الاجتماعية والنفسية والإعلامية التي يجب إدراكها فيما يتعلق منظور معقول على التصور والمعالجة العقلية، تعدّ اللسانيات المعرفية مدرسة جديدة نسبياً في علم اللغة، وواحدة من أكثر الأساليب ابتكاراً وإثارة لدراسة اللغة والفكر التي ظهرت في المجال الحديث للدراسة متعددة التخصصات والمعروفة باسم العلوم المعرفية (Evans, 2006).

اللغة واللغويات

يعرّف أرسطو اللغة على أنها نظام يستخدمه البشر للاتصال، وأنها تتكون من أصوات منطوقة في اللغات المنطوقة ومن عناصر مكتوبة في اللغات المكتوبة. وأنها صوت الكلام الذي يطلقه الناس من أجل التعبير عن الأفكار، والمشاعر، والرغبات، والعواطف. وبأنها قدرة المتحدث الأصلي الكامنة على فهم الجمل النحوية وتشكيلها. وقد عرّفها (تشومسكي) وفقاً لـ Encyclopedia Britannica على أنها نظام من رموز تقليدية منطوقة أو مكتوبة، يتواصل البشر من خلالها ضمن مجموعات اجتماعية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن اللسانيات تحقيق منهجي للغة، يتضمن دراسة بنيتها وأهميتها، وإلى أن اللغة في الإعداد مثل التحقيق في المكونات الثقافية والاجتماعية والتاريخية والسياسية التي تؤثر في اللغة، وإلى أن اللغويين يبحثون بشكل تقليدي في اللغة البشرية من خلال ملاحظة العلاقة بين الصوت والمعنى (Mathewson, 2020).

ويعرّف (ستيرن) اللسانيات على أنها الدراسة المنهجية للغة، أو علم اللغة؛ وهو علم نظري، يهدف إلى تفسير ظاهرة اللغة. ويتمثل الغرض المركزي من علم اللغة في تطوير نظريات حول جوانب اللغة ونظرية عامة، تعكس تغييرات عملية تعليمها وتعلمها. ويهتم علم اللغة بالأصوات والكلمات وقواعد النحو وقواعد اللغة التي تتكون من علم الأصوات ونظام الصوت والصرف وتركيب الكلمات وبناء الجمل وترتيب كلماتها وكذلك الدلالات والأساليب (Stern, 1983).

اللغة والإدراك

ويجب أن يعرف المرء قبل دراسة اللغويات المعرفية الوظائف التفاعلية ومشاركة اللغة والإدراك في التفكير؛ من المفترض أن اللغة تستخدم فقط لتوصيل الأفكار المكتملة. تم تطوير فرضية عامة مفادها أن اللغة والإدراك هما آليتان منفصلتان، ولكنهما متأثرتان بشكل وثيق، يطور الإدراك التمثيلات العقلية بنمذجة العالم المحيط وكيف المعرفة الثقافية مع الظروف الملموسة للحياة. يتم اكتساب اللغة من اللغة المحيطة "الجاهزة". يتم تطوير الإدراك من التجربة، يشمل الإدراك جميع العمليات الواعية، واللاواعية التي يتم من خلالها تراكم المعرفة، مثل الإدراك، والاعتراف، والتصور، والتفكير. بعبارة أخرى، الإدراك هو حالة أو تجربة معرفة يمكن تمييزها عن تجربة الشعور أو الرغبة. وفقاً لتشومسكي، هناك فرق بين اللغة والإدراك. هاتان المقدرتان منفصلتان ومستقلتان. لكن اللغويات المعرفية تؤكد على آلية واحدة لكليهما (Croft, 2004).

وتعدّ اللغويات المعرفية CL نهجاً خاصاً يركز على تحليل اللغة الطبيعية على أنها أداة لتنظيم ومعالجة ونقل المعلومات. يمكن أن ينتج عن ذلك ثلاث خصائص أساسية لعلم اللغة المعرفي: أولوية علم الدلالات في التحليل اللغوي، والطبيعة الموسوعية للمعنى اللغوي، وطبيعة منظور المعنى اللغوي. هناك العديد من الظواهر المفاهيمية التي يتعرف عليها علم اللغة المعرفي كمفاهيم أساسية: النموذج الأولي، والاستعارة، والكناية، والتجسيد، والمنظور، والمساحات العقلية، وما شابه ذلك، يشكل كل منها مبدءاً محدداً للتنظيم المفاهيمي، كما ينعكس في اللغة (Geeraerts, & Cuyckens, 2012) نظرية CL هي انعكاس للجوانب العامة للإدراك، وهنا تعريف موجز، ويقول مؤيدو هذه النظرية أنه من الأفضل دراسة اللغة في سياق استخدامها. المعنى والشكل لا ينفصلان في دراسة اللغة، كما تنص نظرية CL. هناك مجالان رئيسيان تركز عليهما

اللغويات المعرفية CL: مجال القواعد، والذي يهتم بدراسة تنظيم اللغة، ومجال علم الدلالات، وهو دراسة البنية المفاهيمية للغة (Evans, 2012).

إن تجربتنا في العالم والطريقة التي ندركها ونفهمها هي الطريقة التي تم تكييفها من خلال نهج اللغويات المعرفية CL (Ungerer, 2001).

خلاصة القول

تعدّ النفس علمياً جزءاً من عمل الدماغ، وتعرّف مبدئياً على أنها مزيج من ثلاث مكونات معرفية رئيسية: الحساسة والذاكرة والوعي. أما اللغة؛ فيصنعها العقل، ومع ذلك، تظهر الكلمات مرة أخرى في الذهن عندما نعبّر عنها؛ لنذكرها من خلال دورتها من النفس إلى اللغة ثم من اللغة إلى العقل دورة تكرارية تتمثل في عودة اللغة - التي أنشأتها النفس - إلى النفس مرة أخرى.

الافتراضات والالتزامات

لقد جعلت الافتراضات والالتزامات اللغويات المعرفية مشروعاً فريداً، شارك اللغويون المعرفيون على نطاق واسع في التزامين رئيسيين: "الالتزام التعميم" و "الالتزام المعرفي"، ويشكل هذان الالتزامان أساساً للاتجاه والنهج اللذين يتبنهما اللغويون الإدراكيون. وتجدر الإشارة إلى أن الافتراضات والمنهجيات المستخدمة في الفرعين الرئيسيين لمشروع اللغويات المعرفية ما هي إلا دلالات ومقاربات معرفية للقواعد، وإلى أن علم اللغة المعرفي ما هو إلا مشروع أو حركة في كونه ليس نظرية معينة، بل نهج، يفترض مجموعة مشتركة من المبادئ التوجيهية والافتراضات ووجهات النظر. وقد وصف جورج لاكوف، مشروع اللغويات المعرفية لهذين الالتزامين الرئيسيين: "الالتزام التعميم"؛ وهو التزام بتوصيف المبادئ العامة المسؤولة عن جميع خصائص اللغة البشرية؛ و "الالتزام المعرفي"؛ وهو التزام بإعطاء توصيف المعايير العامة للغة التي تتفق وما هو معروف عن النفس والعقل من ضوابط مختلفة (Lakoff, 1990).

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن علم اللغة المعرفي مدرسة لغوية حديثة، تدرس اللغة التي يتم عزلها في كثير من الأحيان في مناطق معينة - من حيث علم الأصوات (الصوت)، دلالات (معنى الكلمة والجمل)، البراغماتية (سياق الخطاب)، علم التشكل (بنية الكلمات) القواعد أو النحو (بنية الجملة) ... إلخ - فإنه يدفع التزام التعميم بالسعي وراء معايير بنية اللغة التي تسود جميع أجزاء اللغة بطريقة متصلة. أما الالتزام المعرفي؛ فيشير إلى وجهة نظر تتمثل بضرورة عكس معايير البناء اللغوي لما يُعتقد عن الإدراك البشري من ضوابط مختلفة، خاصة العلوم المعرفية الأخرى: الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب. وينقسم علم اللغة المعرفي في ثلاث مجالات رئيسية للدراسة:

- الدلالات المعرفية، تتعامل بشكل رئيسي مع معاني الكلمات المعجمية، وفصل دلالات (المعنى) في معنى البناء وتمثيل المعرفة.
- النهج المعرفي، ويتعامل بشكل رئيسي مع النحو والصرف وقواعد اللغة.
- علم الأصوات المعرفي، والتعامل مع تصنيف من المراسلات بين مختلف الصرفية والصوتية متواليات (السيد، ٢٠٢٠). وبما أن الاستعارة التصويرية من أهم جوانب الإدراك التي تهتم اللغويات المعرفية كان حري بنا أن نتطرق في الدراسة بإيجاز إلى الدلالات المعرفية توطئة للبحث والتحليل في الاستعارة التصويرية (موضوع البحث الرئيس).

الدلالات المعرفية

تُعدّ الدلالات المعرفية المعنى اللغوي بمثابة تعبير عن البنية التصورية: طبيعة وترابط التمثيل النفسي في مجمل سخائه وتنوعه، وهذا هو الشيء الذي يجعله طريقة خاصة للتعامل مع المعنى اللغوي. الدلالات المعرفية هي بالتأكيد ليست نظرية متكاملة. يتناول طريقة للتعامل مع التحقيق في النفس وعلاقتها بالرؤية والثقافة المجسدة. يستمر من خلال استخدام اللغة كأداة منهجية رئيسية للكشف عن التنظيم والهيكل التصوري. كما أشار ليونارد تالمي، فإن الدلالات المعرفية هي دراسة حول المحتوى التصوري المفاهيمي وارتباطه باللغة (Talmy, 2000).

لقد وجّهت الدلالات المعرفية في كونها تأثيراً معارضاً للنظريات الشكلية للمعنى التي تم الحصول عليها بواسطة طريقة التفكير المنهجية والموضوعية في القرن العشرين، إلا أن المبادئ التوجيهية التي تم تبنيها داخل الدلالات المعرفية تفتح مجالاً من الظواهر للاستكشاف المباشر الذي يرتفع فوق الهدف الأساسي من الانطلاق نحو البحث في الدلالات المعرفية. وفيما يلي أربعة مبادئ إرشادية تميز بشكل جماعي مجموعة الأساليب التي تقع ضمن الدلالات المعرفية:

- البنية المفاهيمية مجسدة.
- البنية الدلالية هي بنية مفاهيمية.
- تمثيل المعنى هو موسوعي.
- بناء المعنى هو تصور مفاهيمي (Evans, 2003).

الاستعارة التصويرية

الاستعارة سمة بارزة في اللغة سواء الأدبية الشعرية أو اللغة اليومية، أي إننا نفكر بالاستعارة ونحيا بها؛ يقول "والنتيجة هي أن الاستعارة (أي الترسيمات العابرة للمجالات) تعدّ مركزية مطلقة لدلالات اللغة الطبيعية المعتادة وأن دراسة الاستعارة الأدبية هي امتداد لدراسة الاستعارة اليومية، وهذا يقودنا إلى نتيجة حتمية في هذا المنظور وهو أن نسق الاستعارة اليومية مركزي لفهم الاستعارة الشعرية، ذلك أن الخبرة اللغوية والتجربة الكلامية التي ترسم علاقتنا بما يحيطنا من عوالم وأفكار تترجمها لغتنا اليومية في غالب الأمر (لايكوف، ٢٠١٤).

عندما ننظر إلى النظرية المعاصرة القديمة، وفقاً للاكوف، كان هناك بعدين، المجاز في اللغة والاستعارة في الفكر، والتي كانت محور النقاش في العديد من التخصصات. تميز إضافة الاتصال عن التخصصات ذات الأساليب المتميزة، يجب إكمال النهج المعرفي من خلال نهج اجتماعي للاستعارة في اللغة والاستعارة في الفكر، مما يعكس الاهتمام المركزي لأولئك اللغويين التطبيقيين وعلماء اللغة الاجتماعي، والباحثين في الخطاب الذين حللوا الجوانب المتغيرة بين الاستعارات واللغة والفكر عبر مواقف الاستخدام ومجموعات من الناس (Steen, 2011).

إن خصائص النظرية المتكاملة الكاملة للاستعارة هي نتيجة لتوسيع مجال البحث، والذي يجب أن يراعي الأبعاد والنهج المختلفة. تسمح الإمكانيات الإيجابية لنظرية الاستعارة بتقديم أدلة في منهجية الوحدات المجازية، والسياقات (Ibid, wt.d 28) مناهج متعددة لتحليل الاستعارة، فإن طبيعتها الغامضة تحدد النتائج المتنوعة): هناك نظرية هجينة في الاستعارة ونموذج هجين جديد يمثلان تصورات متكاملة للاستعارة (Stover, 2010).

أساس النظرية المتكاملة هو مبدأ تكامل النظرية التصويرية للاستعارة ونظرية الصلة (Sperber, 2008). "نظرية الاستعارة الهجينة" هي مزيج من الأفكار اللغوية المعرفية والأفكار النظرية ذات الصلة، كنقطة انطلاق، يدمج نموذج ستوفر Stöver فكرة الاستعارات التصويرية في شكل معدل، وهو ما يمثل استعارة في الفكر، كما افترضت سابقاً نظرية الصلة، فإن بعض الاستعارات تنشأ في اللغة والبعض الآخر ينشأ في الفكر (اللغويات المعرفية). يمكن أن يفسر نموذج Stöver كلا الأمرين (Stover, 2010).

وفقاً للنظرية التصويرية للاستعارة، تنشأ الاستعارة من رسم الخرائط الذهنية من النطاق (المصدر) إلى المجال (الهدف) في ذهن الناس مع وجهة النظر القائلة بأننا نصور العالم بشكل مجازي يعكس طريقة التفكير، يؤكد جيبس Gibbs وتندال Tendahl الدور المهم لرسم الخرائط في الاستعارة حيث يمكن أن تصل الخرائط إلى الافتراضات السياقية للألفاظ، وهي مسؤولة عن ربط الحواس الجسدية والنفسية لسمات المفهوم. من خلال رسم الخرائط، تساعدنا في التعرف على الاستعارات التقليدية والاستعارات الجديدة. إذا لم يتم تعيين سمة النطاق (المصدر) عادةً في المجال (الهدف)، فيمكننا التعرف على الاستعارة باعتبارها واحدة جديدة. تولي نظرية الصلة الانتباه فقط لاستنتاج تفسير الاستعارة الجديد إلى جانب ذلك، فإن علم اللغة المعرفي فقط هو الذي يدرس الدافع وراء الاستعارات الفردية، وفئة العبارات الاستعارية، وأنماط

الاستدلال الاستعاري. يوضح اللغويون المعرفيون أن الأنماط الحسية المتكررة تحفز استخدام اللغة المجازية، وتنشأ العديد من الاستعارات الجديدة من عمليات المزج المعقدة (GIBBS, 2008).

آليات تأويل الاستعارة

تعتمد عملية تشكيل التصورات والمفاهيم على منظومتنا المفاهيمية القائمة على مدركات حسية وحركية في كونها وسيلة من وسائل الاتصال البشري فكل فهم لدينا عن العالم وعن أنفسنا، لا يمكن تأطيره إلا من خلال المفاهيم التي تشكلها أجسادنا (الحراصي، ٢٠٠٢)، وتقوم الاستعارة المفاهيمية بتفعيل تجاربنا الحسية بمناحي الحياة المختلفة في البيئة الواقعية، ويذهب كل من (لايكوف، وجونسون) إلى أن التأويل الاستعاري يشتمل على فك الرموز فيقوم باستبدال استعارتنا القديمة وإحلال استعارات مجردة جديدة تسهم في خلق بنية تصورية للتجربة والأحكام الشخصية في نطاق استعارة ما هو صحيح وما ينبغي السعي إليه، "لأن منظوماتنا المفاهيمية وقدرتنا على التفكير تشكلها طبيعة أدمغتنا وأجسادنا وتفاعلاتنا الجسدية" (الحراصي، ٢٠٠٢، ص ٦١). فتنتفتح الاستعارة التصورية على نسق من القيم والمعتقدات وتعدد المعاني، تتأسس على سلسلة من النماذج المعرفية الإدراكية المرتبطة بطرق عمل الذهن البشري القائم؛ (وهذه التمثيلات الذهنية – هي لغوية في جزء منها وغير لغوية في جزء آخر – في تأويلاتها عن الثقافة والمجتمع). وهنا تتمثل الأبعاد النفسية في إنتاج الاستعارة كونها تغير نظرتنا إلى الأشياء، وهي تتعدد بتعدد المعاني الموجودة في العقل (سيمنيو، ٢٠١٣).

أنواع الاستعارات المعرفية

لقد ميّز لايكوف وجونسون ثلاث أنواع من الاستعارات:

الاستعارات الأنطولوجية

تكمّن طاقة الفهم الاستعاري لهذا النوع من الاستعارات في أن تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية وخاصة أجسادنا مصدر الأسس استعارات أنطولوجية متنوعة جداً؛ أي أنه تعطينا طرقاً للنظر إلى الأحداث والأنشطة، والإحساسات، والأفكار... إلخ؛ باعتبارها كيانات ومواد. نستعمل الاستعارات الأنطولوجية لحاجات مختلفة، والاختلافات الحاصلة بين هذه الأنواع من الاستعارات تعكس هذه الحاجات المختلفة التي استعملت هذه الاستعارات من أجلها (لايكوف وجورج، د.ت).

الاستعارات الاتجاهية

وهي مفهوم استعاري لا يقوم على أساس بُنية تصور ما استعارياً استناداً إلى تصور آخر كما هو الحال في الاستعارات البنيوية، ولكنها على العكس من ذلك؛ إذ تنظم [نسقاً كاملاً من التصورات العالقة]، (ويرتبط أغلبها بعلاقاتنا بالمكان والفضاء، فعندما نقرأ الاستعارات الحاصلة جراء التفاعل بين أجسادنا والمحيط الخارجي يلفت تأملنا ثنائية الفضاء التقابلية، بالتضاد أو التعاكس، أو التباين [فوق/ تحت، أعلي/ أسفل، داخل/ خارج، هامشي/ مركزي... (لايكوف وجورج، د.ت).

الاستعارات البنيوية

وقوام هذه الاستعارة أنها تعمل على بُنية التصورات التي تتسم بوضوح أقل، وتفهم جزئياً عن طريق تصورات أخرى تتسم بوضوح أكثر)؛ إذ تتوافر هذه الاستعارة على مجالين هما: المصدر، ويكون الأكثر وضوحاً والأكثر إفهاماً، والهدف ويكون الأقل وضوحاً؛ كبنية الجدل عن طريق تصورنا للحرب، وقولنا: الجدل حرب، وتتسم هذه الاستعارة بأنها [أكثر الأنواع تخفياً؛ لأنها تتأسس على بُنية الأفكار في ضوء أفكار أخرى من ذلك مثلاً أن نجري الطلب في شكل استفهام أو أن يجري الوثوق من موقف في شكل تهديد لمخالفة، وغير ذلك (لايكوف وجورج، د.ت)، ولكن كيف تُبنى الاستعارة بأنواعها الثلاثة المختلفة؟

بناء الاستعارة

ثمة سؤال مهم يطرح نفسه وهو: من أين تأتي الاستعارة؟ فيجيب عطية سليمان في كتابه القيم على هذا السؤال: تبدأ الاستعارة بعملية تصورية عقلية، ثم عملية لغوية يتم فيها النطق بهذه الاستعارة؛ أي خروجها في قالب لغوي (أحمد، ٢٠١٤). إذن، ثمة مرحلتان مهمتان تمر بهما الاستعارة وهما:

– العملية التصورية العقلية.

– العملية اللغوية.

ولذلك؛ يجب أن نميز بين عملية التفكير في خلق مشابهاة بين الأشياء المختلفة عن طريق الاستعارة التصويرية، وبين الثوب اللغوي الذي تظهر فيه هذه الاستعارة. ثمة نقطة من الأهمية بمكان أن نشير إليها وهي أن الاستعارة تقوم على نظرية الإسقاط الاستعاري التي يشرحها د. صالح بن الهادي قائلاً: "إن المستعار أو المشبه به في النظرية الإدراكية هو عملية ذهنية يتم فيها إسقاط طراز من الأطرزة أو نموذج من النماذج المثلي المنغرس في الذهن على موضوع من الموضوعات؛ أي على المستعار لها والمشبه. وهذا الإسقاط نوعان: إسقاط قاعدي وهو أن يكون المشبه به هو الطراز عينه كقولنا "زيد أسد"، وإسقاط فرعي، وهو أن نأخذ من الطراز لازماً من لوازمه كقولنا: "زار زيد"، والفرق بين الطراز وفرعه أن الأول يخاطب ذهنياً لا يمتلك الطراز؛ أي لا يعرفه في حين يخاطب الثاني ذهنياً متشبعاً بالمقولة الطرازية" (رمضان، د.ت)، وفي هذا السياق يشير د. عطية سليمان إلى الإسقاط ودوره المهم في بناء الاستعارة قائلاً: [تقوم الاستعارة من حيث بنيتها على الإسقاط ما بين المجالات، والإسقاط هو جملة من التناسبات الثابتة ما بين الوحدات في المجال المصدر والوحدات في المجال الهدف. فدور الإسقاط في قيام الاستعارة وهو عملية إسقاط تشابهات بين مجالين عنصرين بمكوناً بمكون، فتقوم بإسقاط المعارف المتعلقة بالمجال المصدر على المعارف المتعلقة بالمجال الهدف، وتمثل عملية الاستعارة في قيام تلك التناسبات، وهذا الإسقاط المفهومي متأصل ما بين المجالات في الفكر، وتأصله قائم على قوالب قارة من التناسب الأنطولوجي فإذا انطبقت تلك القوالب على مجال ما حدثت الاستعارة، وإذا لم تنطبق تلك القوالب لم تحدث استعارة (رمضان، د.ت).

يمكننا القول: بهذا فإن فكرة الاستعارة التصويرية خالفت الفكرة الكلاسيكية التي ترى أن العقل يقوم على الحقيقة ومجاله القضايا التي تقبل الصدق والكذب، أما الفكرة الحديثة فترى أن مظاهر التخيل في العقل هو مكون مركزي من مكونات العقل لا مكون زائد يضاف إلى الحقيقة.

الاستعارة من منظور لغوي معرفي:

تمثل الاستعارة أهم التجليات المعرفية للغة؛ فهي كثيرة التواتر في مختلف الخطابات والمواقف الثقافية اليومية في كونها تسهم في توسيع المعنى وإثرائه استجابة لمتطلبات مواقف تواصلية معينة، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن "الاستعارة في جوهرها ليست فقط مسألة ألفاظ و لكنها مسألة بناء مفهومي أيضاً" (إزابيل، ٢٠١٣)، ويذهب باتريك شارودو ودومنيك منغنو في معجم تحليل الخطاب إلى القول: «للاستعارة مردود استكشافي قوي باعتبارها تكمن باعتماد القياس من تفسير ميدان جديد أو قليل التحديد بميدان معروف»، لأنَّ الفعل التخيلي لا يمكن أن ينطلق من العدم، وأنَّ الأبنية الاستعارية تتأسس على أبنية مألوفة (شارودو، ٢٠٠٨).

يرى (جورج لايكوف) أن للاستعارة مجموعة من الأسس والمنطلقات منها:

- أنها مرتبطة بتجاربنا وبجملة الملكات والاستعدادات المكتسبة لدى الفرد.
- تنتج الاستعارات، لأن أدمغتنا مركبة بطريقة معينة؛ فبعض المناطق من الدماغ أقرب إلى تجاربنا الحساسة، وبعضها الآخر يستخدم هذه المناطق مدخلاً (input).
- إن المحتوى الخاص للاستعارات مرتبطة ببنية العلاقات داخل تجربتنا اليومية، إنها ليست اعتباطية، لكونها مرتبطة بالتجربة اليومية الأكبر انتشاراً في الغالب.
- حافظ الاستعارة على التفكير والاستنتاج، إنها لا تتعلق باللغة فحسب، وإنما بالتفكير والتدبر كذلك (شارودو، ٢٠٠٨).

إن الاستعارة تمثل نمطاً تواصلياً خاصاً يعكس القدرة الذهنية على خلق تصورات جديدة، أو على الأقل غير مألوفة في السياقات التواصلية المعتادة، وهو ما يعطيها دوراً مهماً في بناء العالم وتشكيله بمدّه بمعانٍ جديدة تثير حقل التصورات الممكنة له، وهذا وفق توليفات بين صور معتادة تمثل مادة أساسية لبناء المعاني الجديدة، أي توظيف ما هو مألوف لتوليد ما هو غير مألوف، أو ما يسمى بمجال المصدر ومجال الهدف، في «عملية إنشاء المراسلات بين المجال المصدر (المفاهيم

المألوفة) والمجال الهدف (المفاهيم غير المعروفة)، إذن فالاستعارة تسمح بربط الخبرات المعروفة في مجال معين من المعرفة بخبرات جديدة قيد التحقيق « (شارودو، ٢٠٠٨).

إن الفضاء الهدف هو ذلك الذي يجري بناؤه استعاريًا، بينما الفضاء المصدر هو الفكرة (ذات التجريد المحدود في العادة) التي تتخذ أساسا للإسقاط الاستعاري، والفضاء المزيح هو نتيجة لإسقاط الفضاء المصدر على الفضاء الهدف، هو "تصور هجين متخيل في طبيعته"، إلا أنه يعكس تمثلاً ذهنياً دقيقاً لحالة إدراكية ونفسية لدى الشخص المعني، وهو ما يعني إمكانية تجاوز اللغة للعوامل القائمة وانفتاحها على العوالم الممكنة حتى وإن كانت هذه العوالم بعيدة التحقق في الواقع الفعلي (لانقر، ٢٠١٨).

وخلاصة الأمر؛ فنقول إن الاستعارة متعلقة بانفتاح اللغة على الواقع الممكن، مما يجعلها قادرة على الجمع بين أشياء لا تتطابق في الواقع، ولكنها تجد في إحالتها ومعناها في عوالم أخرى ممكنة، لذا كان الأسلوب الاستعاري من أقدر الأساليب التعبيرية وأقواها على توليد المعاني وتفريغها، وهو ما يعني تشكيل تصورات جديدة من خلال إعادة توزيع العلاقات بين أشياء العالم، ومكوناته سواء في طبيعتها المادية أم طبيعتها المعنوية (يسر، ٢٠١٧).

عرض الأدبيات اللغوية في الاستعارة التصويرية

ظهرت عدة مناهج رئيسية في تحديد جوهر الاستعارة كوسيلة للترشيح الثانوي في علم اللغة الحديث. النهج الأول يصف الاستعارة بأنها ظاهرة معجمية. يعتقد أنصارها أن الاستعارة تتحقق في بنية structure المعنى اللغوي للكلمة (Van M., & Treur, 2016)، يتضمن هذا النهج تحديد وتصنيف الصفات اللغوية للاستعارة (الصرفية، الاشتقاقية، النحوية). هنا، يعتمد تفسير الاستعارة على إبراز العملية الدلالية، عندما يتم نقل شكل الوحدة اللغوية أو تصميم فئة لغوية من تعيين كائن إلى آخر بناءً على التشابه بين هذه الكائنات، والمشتق معنى الوحدة اللغوية التي تشكلت على أساس العملية الدلالية المسماة (Issakova, et al., 2020) ضمن هذا النهج لتفسير الاستعارة، قيل إنها تتضمن بالضرورة المقارنة؛ إذ يشير مصطلح "استعارة" إلى وحدة تتكون من جزأين مترابطين: "المحتوى" و "الغلاف". الغلاف "ليس مجرد زخرفة للمحتوى الذي يبقى دون تغيير: الغلاف والمحتوى اللذين يعطيان في تفاعلهما معنى أكثر ثراءً من كل من هذه المكونات التي تم الحصول عليها كل على حدة. يؤكدون أن المقارنة عملية نفسية، والاستعارة هي نوع من استخدام اللغة (Kertész, & Csátár, 2012).

يفسر مؤيدو النهج الثاني الاستعارة على أنها عملية منطقية تتضمن نقل مفهوم كلمة من مجموعة إلى أخرى. يمحو النهج المنطقي الفرق بين الاستعارات اللغوية واستعارات الأنماط، إنها تعلم تكرار الإشارات من هدف ما، وتحويل عالم الأشياء إلى عالم من المعاني. تُعد الاستعارة وسيلة لخلق مفردات "العالم غير المرئي"، التي تعكس الحياة الداخلية للشخص (Van, & Treur, 2016).

أصبح النهج الثالث المعرفي هو المسيطر في علم اللغة الحديث؛ فقد اعتبر أنصارها الاستعارة وسيلة لتصوير الواقع؛ إن الدراسات المعرفية لآليات التصور المجازي ناتجة عن تغيير في النظرة الثابتة للعالم كنظام محدد بشكل صارم للمكونات، من خلال اعتبار الكون كنظام ديناميكي تجلى حول شخص (Temirbolat et al., 2017).

ويمكننا القول إن الاستعارة تظهر في اللغة عندما يولد الواقع ارتباطات معينة بموضوع الإدراك، تصاحب عملية ظهور المعرفة الجديدة مقارنة ورسم تشابهات بين الأشياء على المستوى المفاهيمي، لأن هذا متأصل في طبيعة العمليات العقلية (Sultan et al., 2016).

خلاصة القول: لقد أخرج اللسانيون العرفانيون الاستعارة من مجال لغوي ضيق إلى مجال أكثر سعة؛ فلم تعد الاستعارة تعني مجرد ظاهرة لغوية، بل تعمقت وأصبحت عملية لغوية إدراكية كامنة في الذهن مكتسبة من اللغة في جوهرها طبيعة وصبغة تصويرية.

الاستعارة في الخطابات اليومية والمهنية "الانفعال أنموذجاً"

انطلاقاً من كتاب كوفيسيس "الاستعارة والانفعال" الذي يقيم فيه ارتباط اللغة بالجانب الثقافي، والجسم بتأثيره في الجسد ضمن فئات الاستعارة تعبيراً انفعالياً - التي تشكل حدوداً بين ما هو تقليدي في تصوراتنا وما هو خاص وغير مألوف في الوهلة الأولى. ونعرض من أجل توجيه القارئ حول هذا الموضوع بعض النماذج التالية:

- هناك بعض المفاهيم التي تطبق في مجالات المصدر عن جميع التجارب الانفعالية؛ وهي عمليات بسيطة تتمثل في تعبير الناس عما في أنفسهم، سواء أكانوا سعدين أم غير ذلك. وتتنصف الاستعارة التصورية في وجود "الانفعال يعبر عن وجوده هنا". وتتلاشى في المقابل كل الانفعالات الأخرى.
- كل مجالات المصدر التي تنطبق على معظم المفاهيم الانفعالية حسب وفقاً لرأي كوفيسيس المتمثل بأن مجال المصدر استعاري وعاء يحتوي بداخله أو خارجه ما يعتبر المجال الانفعالي الأكبر أو الأكثر تمثيلاً (Kövecses, Z, 2004).
- لا يمكن تصور كل المجالات المصدر التي تنطبق على بعض الانفعالات في نوع مثل "سائل ساخن"؛ فالاستعارات التصورية في الحرارة هي نار تشترك مع سوائل ساخنة في وعاء يتولد منها "انفجار" في انفعالات الغضب أو الخوف مثلاً، فربما يرمي إلى إلحاق ضرر مادي بالشخص.
- لقد لخص الباحثون في المجالات المصدر التي تنطبق على انفعال واحد، حيث أضاف كوفيسيس إلى أن ثمة بعض التصورات التي تنطبق على بعض الانفعالات، كقولهم: الغضب يتعدى شكل الانزعاج، أما السعادة فتتفرع عن الأرض (Ibid, wt. d 28).

استخدام الاستعارات في الشعر " نماذج تطبيقية"

استخدم الباحث (filiz dur) من جامعة كوكوروا (تركيا) الاستعارات في الشعر في بحثه المعنون بـ "فهم الاستعارة" المقاربة المعرفية المركزة على تعيين الاستعارات وتأويلها في الشعر، إذ يرى الباحث أن البحث قد قطع في أشكال الاستعارة وبنيتها ووظائفها شوطاً بعيداً خلال العقود الثلاثة الماضية؛ لذلك، فقد تحدث رؤية جذرية الاعتقاد القائم على أن الاستعارات انحراف، وغير ملائمة، ولغة يستعملها الشعراء والسياسيون (Filiz Dur, 2006).

لقد تحدثت الرؤية الجديدة للاستعارة النظرية التقليدية بطريقة متماسكة ونسقية. وشوهد خلال العقدين الأخيرين اهتمام كبير بالاستعارة بوصفها "آلية مركزية" للاشتغال المعرفي البشري. ويرى فيليز ديور وفقاً لوجهة نظر لايفوف وتيرنر، أن الاستعارات التصورية العامة ليست ابتداءً فريداً من نوعه لشعراء أفذاذ، وإنما هم جزء من أعضاء ثقافة؛ لهم طريقة ما يتصورون من خلالها تجربتهم. فالشعراء كأعضاء ثقافتهم، يضعون بصفة طبيعية استخدام هذه الاستعارات الأساسية من أجل التواصل. كما يتخذون النظرة الوظيفية التابعة لغرض التواصل حول كيفية استعمال الكتاب لها في الشعر؛ لتحقيق غرض خاص (Filiz Dur, 2006).

ويرى لايفوف وتيرنر أن الشعراء يمكنهم التوصل بالاستعارات العادية التي نحيا بها من أجل أخذنا إلى ما هو أبعد منها؛ لنكون أكثر تبصراً مما سنكون عليه في كوننا نفكر فقط بطرق عادية. ويصرح ماكغراث قائلاً: "ما الذي يجعل القصيدة قصيدة؟ فإن الجواب الأول الذي يتبادر إلى ذهني سيكون استعمال الاستعارات، إن معظم القصائد تعتمد على استعاراتها، لأنه بدونها ستكون مفتوحة، بلا طعم وفقيرة. وما وجد فن الشعر إلا لخداع القارئ، ودفعه إلى مزيد من البحث بعمق عن المعنى الغامض؛ فيكون الشعر دونما استعارات كتاباً مفتوحاً على الرغم من أنه يبقى جميلاً، إلا أن الغموض يرحل ومعه العامل الرئيسي الذي يجعل من الشعر فناً فريداً من نوعه" (Lakoff, & Turner, 1989). كما يرى فيليز أن لايفوف وتيرنر الذين أشارا إلى أن الشعراء يوظفون بانتظام العديد من الأدوات لإبداع لغة جديدة غير وضعية، وصوروا من مواد اللغة الوضعية العادية استعارات جديدة، مع محاولة ترجمة هذه النصوص الشعرية من اللغة الإنجليزية إلى العربية وفقاً لمعناها الظاهر وفهمنا لها، ومن هذه الأدوات:

التوسيع \ التمديد Extending

يستعمل الشعراء هذه الأداة عندما يعكسون استعارة تصويرية وضعية مرتبطة ببعض التعابير اللغوية المموضعة بواسطة وسائل لغوية جديدة؛ فإن يدخلوا عنصراً تصويرياً جديداً في المجال المصدر - وعلى سبيل المثال لا الحصر - فقد استخدم روبرت فروست Robert frost هذه الأداة:

Two roads diverged in a wood, and I
took the one less traveled by
And that has made all the difference.

ونقترح ترجمة المقطع كالآتي:

"قراءتان متباعدتان على قطعة خشب، وأنا
أخذت إحداهما الأقل سفراً
والتي صنعت الاختلاف كله.

ويرى الباحث أن الاستعارة التصويرية الوضعية هنا، تشير إلى أن الحياة سفر قد تم توسيعها وضعياً، فثمة طريق حياة واحدة لكل فرد تقوده إلى غاية أو وجهة. والجديد هنا؛ فثمة طريقان يقودان إلى الوجهة نفسها (Filiz Dur).

التدقيق \ أو التفصيل Elaboration

في التدقيق يوسع العنصر الموجود في المصدر بطريقة غير اعتيادية؛ إذ يستعمل الشاعر المصدر بطريقة أكثر تحديداً وخصوصية من الطريقة المعتادة.

التشكيك أو التحقق Questioning

يدعو الشعراء بهذه الأداة إلى التشكيك في مدى مناسبة الاستعارة التصويرية الوضعية.

التوليف combining

يعتبر التوليف أداة معتنى بها بأكثر قوة؛ إذ يذهب بنسقنا التصوري بعيداً؛ فتراه ينشط العديد من الاستعارات اليومية في الوقت ذاته (Filiz Dur, 2006).

وخلاصة القول: أن الأدوات أو التقنيات المذكورة أعلاه (التوسيع، التدقيق، التشكيك، التوليف)، لا تمثل كل ما يوظفه الشعراء من أجل التصرف في الاستعارات التصويرية الوضعية؛ لإنشاء استعارات جديدة؛ فثمة أيضاً تقنيات أخرى - وهي شائعة الاستخدام في الأدب - من مثل " التشخيص " الذي ينطوي على فهم الكيانات غير البشرية أو الأشياء من خلال الكائن البشري.

الخطاب الشعري والاستعارة التصويرية

فكما تشكل الاستعارة التصويرية بين ميدانين تصويريين؛ فيمكنها أيضاً إسقاط صورة، تمثل الميدان المصدر بصورة أخرى، تجسد الميدان الهدف. وتوسم هذه الاستعارة باسم الاستعارة الصورة، وهي بكل بساطة "إسقاط صورة ذهنية تواضعية على صورة ذهنية تواضعية أخرى؛ ليتجاوز الإسقاط الميدان المخصوص المحدد، ويكون في شكل إسقاط مشهد على مشهد، ولا يعني هذا أن مثل هذا الإسقاط يهتم بالتفاصيل التي يقوم عليها المشهد المصدر، كما يسقطها على المشهد الهدف، إنما يعني الاهتمام بالبنية الكلية للصورة أو للمشهد التي يناسب فيها العام العام والجزء الجزء وما إلى ذلك، ويمكن التمثيل على ذلك من خلال قول أحمد مطر:

مرض الكلبُ زعيمُ الثورة

واستبشرنا نحن الشعبُ أخيراً

وفتحنا المذيعَ

قُطِعَ البثُّ

وعادَ البثُّ

وقُطِعَ البثُّ

وبعدَ قليلٍ كانَ مذياعُ السلطةِ

ينبُحُ مثلَ العادةِ في المذيعِ

ماتَ الكلبُ

زعيماً الثورةِ

ماتَ الكلبُ

واصبحَ ابنُ الكلبِ رئيساً بالإجماعِ

أولاً - يمكن القول: إن هذا الإسقاط الاستعاري جعل "القصيدة ذاتها تتحول إلى استعارة كبرى، وهي لعبة فنية لا يجيدها إلا جهاذة الشعر (البوعمراني، ٢٠١٥).

ثانياً، يذلل استيعاب المرجعيات الثقافية التي أنتجت مثل هذا النص - سبل الإمساك بآليات التصوير فيها، وتختلف هنا التصورات باختلاف مؤثراته؛ فاستعارة الكلب هنا تثير في ذهن مدلولات سلبية مشتركة بين الناس بالرغم من ألفته وولائه لأهله إلا أنه يرمز إلى المنفور من الحيوانات؛ فليس بمقدور ابن الكلب إلا أن يكون كلباً، فاجتماع هذين المستعاريين قد استحضر صورة، تراكبت فيها التصورات السلبية الثقافية، وهي غير مطلوبة لذاتها بقدر ما هي فاعلة في بناء صورة ثانية (الصورة الهدف)؛ فيدعو الشاعر هنا بطريقة فنية إلى تجديد الذات ومحاربة الإسهام في خلق كوادر بشرية، تمارس القهر باسم السيادة، وتسود بالكلام دون الأفعال.

وهكذا لا يلبث الباحث أن يصرح أن "الرؤية المعرفية قوضت العلاقة المسدودة بين الاستعارة والأدب في قرونها الطويلة. وعليه؛ فتبدو اللغة الشعرية أو ما يسمى باللغة المستعملة في الأدب - أصبحت فاقدة لفرادتها، ووظيفتها الجمالية لإبداع المعنى وإضافة حيوية إلى الأدب" (البوعمراني، ٢٠١٥).

ومن الشائع الاعتقاد بأن اللغة الشعرية هي فوق اللغة العادية؛ فهي شيء مختلف أساساً، وأنها لغة خاصة وراقية، تتم بواسطة أدوات استثنائية وتقنيات مثل الاستعارة والكناية، وأدوات ليست في متناول فرد، يريد إجراء محادثات لا غير. ولكن الشعراء الكبار، والفنانين الخبيرين، يستعملون بالأساس الأدوات نفسها التي نستعملها نحن، بيد أنها مختلفة بفضل الاستعمال الموهوب لهذه الأدوات إلى جانب استعمالها وفق مهارتهم التي اكتسبوها من خلال اهتمام متواصل، وممارسة وممارسة (Lakoff, & Turner, 1989).

وفي ضوء ما تقدم من أمثلة؛ فنستنتج أن الاستخدامات الاستعارية التي نوظفها في تواصلنا اليومي قابلة للاستدعاء في الزمكانية المناسبة التي تكون موجودة ضمناً في مخزوننا اللغوي والذهني؛ لهذا أرى ثمة استعمالاً أخرى لظاهرة الاستعارة في تواصلنا اليومي، والتي تندرج تحت هذه الظاهرة، ولتتضح الأخيرة أكثر؛ نورد بعض الأمثلة لبعض العبارات الاستعارية التي تدخل في مجال حياتنا اليومية نتيجة للتصورات الذهنية الاستعارية كقولنا: "كان أخي يغلي من الغضب"؛ دلالة على الغضب الشديد، وأيضاً قولنا: "ملاكي الحارس"، وكذلك قولنا: "مات من الضحك"، أو قولنا: "التهمت النيران المنزل بأكمله"، وقولنا: "قبل الرحيل"؛ دلالة على الموت.

٣. الاستنتاجات

١. بعد الخوض في الأحكام الرئيسية للنظرية المعرفية للاستعارة، يمكن الاستنتاج أنه مع تطور علم اللغة المعرفي، فإن الاستعارة تأخذ مكاناً رائداً في بحثها. هذه الحقيقة ليست مصادفة فدراسة الاستعارة أثبتت مشاركتها في عمليات التفكير والاستلام والمعالجة ونقل المعلومات. والاستعارة مرتبطة مباشرة بتجربة جماعة معينة لأشخاص منذ العصور القديمة، تجسدت أفكار الناس فيما يتعلق بالواقع المحيط. الاستعارة وسيلة للترشيح، وهي أساس التفكير المماثل. بالنظر إلى استعارات لغة معينة، يمكن للمرء أن يفهم أسس ثقافة هذا العرق، ويتتبع تكوينه، وتطوره في الوقت المناسب.
٢. تستكشف النظرية المعرفية الاستعارة كوسيلة لتصوير الواقع، كعملية عقلية أساسية تجمع بين مختلف المجالات المفاهيمية لشرح وتمييز وإدراك أحدهما بمساعدة الآخر. من أجل دراسة المجازيات، تقترح النظرية المعرفية تحليل الاستعارات التصورية للغة، مع الأخذ في الاعتبار بنيتها أو النماذج المجازية التي تشكل مجموعة من الاستعارات من منطقة مفاهيمية واحدة لصورة موسعة، وتشرح ظاهرة معينة من منطقة مفاهيمية مختلفة.
٣. لا يمكن اعتبار الاستعارة مجرد زخرف بلاغي، أو ترف لغوي، وإنما ينبغي أن ننظر إليها على أساس أنها تنبع من صميم لغتنا اليومية، ومن مجموع تفاعلاتنا مع محيطنا، وهي ترتبط بتفكيرنا، إنها ذهنية فكرية لا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهلها.
٤. إنَّ الاستعارة تقوم على مفاهيم لغوية معرفية تتبلور من خلالها أو تنعكس على غرارها مختلف النظم والمعارف الاجتماعية.
٥. وهكذا، وكما يتبدى من خلال العديد من الدراسات المعرفية، فإن الاستعارة ليست مقصورة على الخطابات الأدبية والسياسية دون ما سواها، على نحو ما قد توهم الطروح التقليدية للبلاغة، وإنما تتغلغل في العديد من الخطابات اليومية والمهنية، فضلاً عن تغلغلها في العديد من الأنساق الإنسانية غير اللغوية مثل التنظيم الاجتماعي، والممارسات الاجتماعية والشعائرية، والأساطير والأحلام، والإيماء الجسدي، والأخلاق والسياسة، والسياسة الخارجية، والإعلانات، وسواها. إنها، بعبارة واحدة كلية الوجود؛ وذلك لكونها ليست مجرد ظاهرة لغوية أو معطى لغوي فقط، وإنما آلية معرفية أصيلة للإدراك، والتفكير والخيال الإنساني.
٦. لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نقدّم أبرز ملامح النظرية التصورية للاستعارة انطلاقاً من أدبيات الدلائل المعرفية المعاصرة، ولعلنا لا نغالي إذا ما قلنا إن هذه الأخيرة قد شكّلت ثورة في نطاق الدرس الدلالي بعد أن كان أسير الرؤى الشكلية والتوليدية القاحلة والفقيرة، وإن كان يمكن القول إن فقر هذه الرؤى تحديداً هو ما طرح التحدي أمام رواد هذا المجال ممن كانوا ينتمون في مبدئاً مسارهم المهني إلى هذه المدارس الشكلية والتوليدية. كما يمكن القول بالقدر ذاته إن الانطلاق من ظاهرة الاستعارة تحديداً كان له دور فاعل في توسيع مجال الرؤية، والتحول في دراسة الدلائل من مجرد الوقوف على حدود الظاهرة اللغوية إلى ظواهر أبعد مدى تتجاوز النسق اللغوي إلى ما سواه من الأنساق المعرفية والعلاماتية الأخرى.
٧. أوضحت هذه الدراسة كيف يكمل النهج النظري الملائم والنهج اللغوي المعرفي دراسة الاستعارة بعضهما بعضاً، وشرح مزايا هذين النهجين اللذين يمكنهما حل المشكلات بشكل تعاوني في تفسير الاستعارة؛ ولكن كما ذكر أعلاه، لا تزال هناك بعض المشاكل في هذين النهجين وهناك حاجة لإيجاد بعض الحلول لتقديم حسابات أفضل لهذه المشاكل. يمكن لكل من المقاربات المعرفية - اللغوية والنظرية الملائمة - أن تقدم طرقاً جديدة للمحاسبة على الاستعارة، ويمكن للمنظور التكميلي أن يوفر أطراً للاستعارات الأدبية التي يمكن أن تكمل بعض الجوانب التي لا يمكن تفسيرها فقط.

الشكر والتقدير

أتوجه بخالص الشكر إلى المراجعين ورئيس التحرير على تعليقاتهم القيمة على المسودة الأولية لهذه الورقة البحثية. كما أعرب عن تقديري وشكري لوزارة التربية والتعليم على تسهيل عملية جمع البيانات. جميع الأخطاء أو أوجه القصور المتبقية هي مسؤوليتي بالكامل.

الإقرارات الأخلاقية

تم إجراء هذه الدراسة وفقاً لمبادئ إعلان هلسنكي (١٩٦٤) ، وحصلت على موافقة لجنة البحث والأخلاقيات في وزارة التربية والتعليم، الأردن. وقد تم الالتزام بالمبادئ الأخلاقية التالية أثناء تنفيذ البحث:

- مبدأ الموافقة الطوعية (تم الحصول على الموافقة المستنيرة من الجهات المعنية في وزارة التربية والتعليم).
- مبدأ تقليل المخاطر على المشاركين.
- مبدأ السرية.
- مبدأ إبلاغ المشاركين بمحتوى وأهداف البحث.
- مبدأ التوثيق الإلزامي لمراحل ونتائج البحث.
- مبدأ موثوقية الأدوات المنهجية المستخدمة في البحث.
- مبدأ صلاحية معالجة البيانات البحثية.

بيان توافر البيانات

تتوفر مجموعات البيانات التي تم جمعها وتحليلها خلال هذه الدراسة عند الطلب من الباحث.

التمويل

لم يتم تلقي أي تمويل لإجراء هذا البحث.

تضارب المصالح

يؤكد الباحث عدم وجود أي تضارب في المصالح.

مساهمة الباحثة

- قام عمر أبو رمان بوضع تصور الدراسة وتصميمها، بالإضافة إلى جمع البيانات وتحليلها.
- تم كتابة المسودة الأولى للمقال من قبل عمر أبو رمان.
- قام الباحث بمراجعة النصوص وتحريها، واعتمد النسخة النهائية للنشر.

الموافقة على النشر

يوافق الباحث على تقديم هذه الورقة البحثية للنشر، وبانتظار قرار هيئة التحرير بعد عملية التحكيم، ويوافق على نشرها. كما يؤكد أن هذا العمل لم يُنشر سابقاً، ولم يُقدم إلى أي مجلة أخرى للنظر في نشره.

المراجع

أحمد، عطية سليمان. (٢٠١٤). *الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية*. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

إزابيل، أوليفيرا. (٢٠١٧). *الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظر عرفانية*.
 البوعمراني، محمد الصالح. (٢٠١٥). *السيمائية العرفانية الاستعارية والثقافي*. مركز النشر الجامعي.
 الحراصي، عبد الله. (٢٠٠٢). *دراسات في الاستعارة المفهومية*. مؤسسة عمان للصحافة والأبناء والنشر.
 رمضان، صالح بن الهادي. (د.ت). *النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي، الاستعارة أنموذجاً*. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
 ستوكويل، بيتر، جويلية. (٢٠١٧). *الأسلوبية العرفانية*.
 سيمينو، إيلينا. (٢٠١٣). *الاستعارة في الخطاب* (ترجمة عماد عبد اللطيف وخالد توفيق). المركز القومي للترجمة.
 شارودو، باتريك، منغون، دومنيك. (٢٠٠٨). *معجم تحليل الخطاب* (ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود). المركز الوطني للترجمة.
 لانفاكر، رونالد. (٢٠١٨). *مدخل في النحو العرفاني* (ترجمة الأزهر الزناد). المركز الوطني للترجمة.
 لايكوف، جورج، وجونسون، مارك. (د.ت). *الاستعارات التي نعيش بها* (ترجمة عبد المجيد جحفة). دار توبقال للنشر.
 يسر، هبيل. (٢٠١٧). *الإحالة بين اللغة والخطاب*. الدار التونسية للكتاب.

References

- Croft, W., & Cruse, D. A. (2004). *Cognitive linguistics*. Cambridge University Press.
- Evans, V. (2012). *Cognitive linguistics*. University of Sussex.
- Evans, V., & Green, M. (2006). *Cognitive linguistics: An introduction*. Edinburgh University Press.
- Dur, F. (2006). *Understanding metaphor: A cognitive approach focusing on identification and interpretation of metaphor in poetry* (master's thesis). Cukurova University, The Institute of Social Sciences.
- Geeraerts, D., & Cuyckens, H. (2012). *Introducing cognitive linguistics*. In D. Geeraerts & H. Cuyckens (Eds.), *The Oxford handbook of cognitive linguistics* (pp. 3–5). Oxford University Press.
- Geeraerts, D., & Cuyckens, H. (2007). *The Oxford handbook of cognitive linguistics*. Oxford University Press.
- Gibbs, R. W., Jr. (Ed.). (2008). *The Cambridge handbook of metaphor and thought*. Cambridge University Press.
- Issakova, S. S., Sadirova, K. K., Kushtayeva, M. T., Kussaiynova, Z. A., Altaybekova, K. T., & Samenova, S. N. (2020). World ethnocultural specificity of verbal communication: Good wishes in the Russian and Kazakh languages. *Media Watch*, 11(3), 502.
- Kertész, A., Rákosi, C., & Csátár, P. (2012). Data, problems, heuristics and results in cognitive metaphor research. *Language Sciences*, 34(6), 715.
- Kövecses, Z. (2004). *Metaphor and emotion: Language, culture, and body in human feeling*. Cambridge University Press.

- Lakoff, G. (1990). The invariance hypothesis: Is abstract reason based on image schemas? *Cognitive Linguistics*, 1(1), 40.
- Lakoff, G., & Turner, M. (1989). *More than cool reason: A field guide to poetic metaphor*. University of Chicago Press.
- Mathewson, S. T. (2020). Linguistics - Cognitive linguistics. *Encyclopedia of Life Support Systems (EOLSS)*.
- Sperber, D., & Wilson, D. (2008). A deflationary account of metaphors. In R. W. Gibbs, Jr. (Ed.), *The Cambridge handbook of metaphor and thought* (p. 105). Cambridge University Press.
- Steen, G. J. (2011). The contemporary theory of metaphor—now new and improved! *Review of Cognitive Linguistics*, 9(1), 26.
- Stern, H. H. (1983). *Fundamental concepts of language teaching*. Oxford University Press.
- Stover, H. (2010). Metaphor and relevance theory: A new hybrid model.
- Sultan, Y., Alkebaeva, D. A., Kurkebayev, K. K., Abdikulova, R. M., & Sagyndykov, N. B. (2016). The categories of time and space in modern novel transformation. *Man in India*, 96(10), 3927.
- Talmy, L. (2000). *Toward a cognitive semantics* (Vol. 1). MIT Press.
- Temirbolat, A. B., Imakhanbet, R. S., Orda, G. Z., Ospanova, A. A., & Omarov, T. K. (2017). Specifics of embodiment of the national idea in Kazakh literature. *Man in India*, 97(20), 435.
- Ungerer, F., & Schmid, H. (2001). *An introduction to cognitive stylistics*. Foreign Language Teaching and Research Press.
- Van, M., Thilakarathne, D. L., & Treur, J. (2016). Modelling the role of cognitive metaphors in joint decision making. In *2015 IEEE/WIC/ACM International Joint Conference on Web Intelligence and Intelligent Agent Technology (WI-IAT)* (pp. 67–70).